

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن المدد ١٥ مليا

الاعوانات

يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

بجدة البحوث العلمية والفنية

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المستول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٣٣٩٠

العدد ٥٥٧ القاهرة في يوم الإثنين ١١ ربيع أول سنة ١٣٦٣ - الموافق ٦ مارس سنة ١٩٤٤ السنة الثانية عشرة

العلم التبشيري

للأستاذ عباس محمود العقاد

الدرس العلمي يخدم الحقيقة ويبحث عنها ويرحب بها ولا يكره إظهارها حيث كانت في مذهب من المذاهب أو لإنسان من الناس

أما الدرس الذي يكره إظهار الحقيقة لأنها تخمس مذهباً غير مذهبه، أو تشيد بفضل إنسان على غير اعتقاده، فليس ذلك بدرس علمي ولا بدلي، إنما هو تبشير أو دعاية أو هوى مدخول.

ومن هذا القبيل درس كاتب في مجلة «المقتطف» يستره بدعوى العلم الصرف وما هو بمستور، ويمزجه بتواضع التصب الخفي عابداً أو غير عابد وما بها من خفاء

كتبنا عن عائشة كتابنا «الصديقة بنت الصديق» وعقدنا فيه الفصول لنقول إنها رضى الله عنها كانت امرأة تامة الأنوثة في طبيعتها وخلاتها. فأعجب كاتب المقتطف بهذه الطريقة وقال من عنده: «... ومن محاسن هذه الطريقة أن المترجم مهما يعظم ويخطر ينزل منزلة الإنسان. فالسيدة عائشة على فضلها أنثى تامة الأنوثة: تفار وتفرط في الفيرة حتى أنها لتدب بين إحدى ضرائرها والرسول ابتغاء الاثتثار به، وإنها ذات حدة طبيعية، وإنها ظلت تحمل الحقد لمن نصبح للرسول أن يطلقها،

الفهرس

٢٠١ العلم التبشيري ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٢٠٤ في الرملة البيضاء ... : الدكتور عبيد الرواب هنام

٢٠٦ دراسات من مقدمة ابن خلدون ... : الأستاذ دريني خشبة ...

٢٠٨ الحديث ذو شجون ... : الدكتور زكي مبارك ...

٢١٢ صلات علي بن مصر والشام : الأستاذ محمد عبد الفتى حسن

٢١٣ منشأ الفيدة يزيديّة وتطورها : الأستاذ سعيد الديوبى ...

٢١٥ سجاد الأناضول ... : الدكتور محمد مصطفى ...

٢١٧ نقل الأديب ... : الأستاذ محمد إسماعيل النشاشيبي

٢١٨ في قتنا وأسوان ... : الأستاذ محمود عزت هرفة ...

٢١٩ (١) الشر الجذيد وماقات
الريحان والورد والتقد
(٢) أقوى من الموت ... : الأستاذ محمد عبد الفتى حسن

٢٢٠ (١) نلقى الأكفاء ...
(٢) ألوان من الحب ... : د. ...

وإنها مالت إلى ذرى قربها في أمر الخلافه »

انتهى كلام كاتب المقتطف الذى بصطنع الدراسة العلمية وما هو منها في غير باب الفهارس والمناوين

ونحن لم نقل إن السيدة عائشة حملت الحقد أو دبت بين الرسول وبين إحدى زوجاته ، بهذه عبارات الكاتب راقه أن يعبر بها عما أراد ، وبينها وبين ما ذكرناه فرق محسوس إلى هنا نحن علماء ، وطريقتنا في النقد لها محاسن ؛ ولكننا على ما يظهر لا نكون علماء ولا نعرف لطريقتنا حسنة إلا إذا وقفنا عند هذا الحد في الكتاب كله من ألفه إلى يائه . فأما إذا أسفر النقد عن محمده أو عن تبرئة من مذمة فقد كفرنا بالعلم وخرجنا من محاسن الطريقة إلى السيئات

ولهذا عاد كاتب الفهارس والمناوين يقول : « وتلك مزية في الإنشاء قد تحرف المنشىء إلى التجديد والتفخيم إطلاقاً ، بدلاً من اختبار كنه النفس الفياضة بالإحساسات البشرية الصادقة الصافية ... »

إلى أن يقول : « غير أن هذا الضرب من الإنشاء ربما كان مسافة إلى حديث يقلب عليه منطق الدفاع ، وذلك ما يجذب إليه المؤلف لما عرض لقصة الإفك ، فاجتهد في الجدل — وهو لصناعته حاذق — فأيد مذهبه بشواهد المعقول ونصوص المعقول ، وربما لج في استخراج هذه ، وأبعد في استنباط تلك ، حتى أنه عسى في مدارج المجاذبة والمدافعة مدرهاً لا باحثاً ... »

ومعنى ذلك أننا أخطأنا لأننا نقضنا حديث الإفك وأسهبنا في نقضه ، وإننا كنا نوافق العلم إذا رويناه ولم نقب عليه ، أو كان قصارانا في التعقيب عليه أن نقول : « إن قصة الإفك لا تحتاج إلى مثل ذلك الاجتهاد ... »

إذن نكون علماء ولا نكون مدرهين مدافعين ... !

وإذن يقر « العلم العبثى » عيناً لأنه يستطيع أن يصيح يومئذ بين من يستمعون إليه : « أيها الناس ! هذا قصارى ما يملكه الباحث في حياة السيدة عائشة من تفنيد لحديث الإفك وإبطال لدعوى المفتريين عليها ، ولو كان عندهم مزيد من التفنيد والتصحيح لجاءوا به ولم يسكتوا عنه »

وهذا هو العلم اللذيذ الشهي المعجب المطرب الذى يبرئنا

من اللجاجة ولا يؤخذ علينا فيه عيب القدرة على الجدل

أما العلم الذى يسهب في تصحيح حديث الإفك دفاعاً عن سممة السيدة عائشة فهو علم كرهه بغض عند المبشرين وأشباه المبشرين

هكذا يريدنا كاتب « المقتطف » الذى بصطنع الدراسة العلمية لينفذ منها إلى هذه المآرب الخفية على ظنه ، وما هى بخفية إذ الواقع أن المسألة هنا أظهر من أن يسترها هذا البرقع الممزق المشنوء ، وأن العلم الصحيح ، والأدب الصحيح ، براء من هذا العوج البين في التفكير والتقدير

الواقع أن الإسهاب في تصحيح حديث الإفك واجب على نلام على إهماله أو التقصير فيه ، لأننا نكتب عن « شخصية » السيدة عائشة فلا نكون قد صنعنا شيئاً إذا نحن لم نحصي خلافتها ولم نظهر مقدار الصدق أو البطالان فيما يقال عنها

وكل ما يجب علينا أن نثبت مقال الخصوم فلا نحذف منه شيئاً ، وأن نعرضه على مقاطع الحجج أو مواضع الاحتمال والترجيح فلا ننقل منها شيئاً ، ثم نقابل بين الكنتين لنندل على الراجحة منهما والمرجوحة ، دون أن نكره القارىء على التصديق بنبر برهان . وهذا ما صنعناه

وهذا الذى يمدد الكاتب الذى حرمه الله الذوق والفهم لاجابة وخروجاً من وظيفة البحث العلمى إلى وظيفة الدفاع

ومن الواضح أن الباحث العلمى مطالب بالالتفات إلى البراهين القاطعة والوقائع الحاسمة كما هو مطالب بالالتفات إلى القرائن المرجحة والأدلة المحتملة ، فلا يلام على قرينة لأنها غير قاطعة ، ولا على دليل لأنه غير حاسم ، ولكن يلام إذا أهمل شيئاً من ذلك أو أثبتته ثم أعطاه حظاً من القوة غير حظه الذى يحويه ونحن قد أثبتنا بكل ما يخطر على البال من جانبي المقال ، ولم نبالغ قط في قيمة ترجيح أو احتمال ، فقل إنه خروج من البحث إلى الجدل

ولكن ما هو البحث الخالص البرى الذى لا جدال فيه يا ترى ؟

هو الإسهاب في متابعة كل حجة وكل قرينة للتشكيك والتوهين ، إذ التشكيك والتوهين هما العلم الذى لا جدال فيه ...

أما التصحيح والتبرئة فهما الجدال الذي يعاب على الباحثين والعلماء ... ١

وهذه أمثلة من إسهاب كاتب « المقتطف » الذي يرى من الفهم والدوق وصراحة التفكير واستقامة القياس قال بمنيننا :

« من ذلك أنه أول شكوى امرأة صفوان بن المطلب — وهو بطل حديث الأفك عند المرجفين — تأويلاً متريداً فيه ، ثم استند لأجل دعمه إلى خبر لا ندري ما يكون . وتفصيل ذلك أن المؤلف نقل أن امرأة صفوان شكته إلى النبي لأنه ينام ولا يصلي الصبح قبل طلوع الشمس ، ثم زاد : وقد يحسن هنا أن توجه شكوى امرأة صفوان إلى بعض معانيها . كأنها أرادت بثقل النوم كناية عن أمر آخر لا تفصح عنه . إذ قيل عن صفوان هذا إنه كان حصوراً لا يأتي النساء »

نقل كاتب المقتطف ما تقدم من كتابنا ثم قال : « والذي عندي أن ليس وراء شكوى امرأة صفوان تعريض ، وليست حروف الشكوى بفارة نحو الكناية ، ولو كانت فارة لكان النبي الركن فطن للأمر ، فما قال لصفوان على جهة التصريح : إذا استيقظت فصل ... ١ »

فكل ما قلناه نحن أن الباحث يحسن به أن يوجه شكوى امرأة صفوان إلى بعض معانيها ، وهو أنها تنكح بنومه إلى ما بعد طلوع الشمس إلى إجماله واجب الزوجية ، ولا تحب أن تصرح بما أرادت ، لأن التصريح قد ينجل المرأة في مجلس الرجال لم نقل أن هذا القصد هو كل معاني الكلمة ، بل قلنا إنه بعض معانيها ، ولم نشأ أن نزيد على ذلك كثيراً ولا قليلاً ، ولو شئنا لردنا وقلنا إن المرأة لم ترد إلّا ما أشرنا إليه ، وإلا فما شأنها هي بصلاته بعد طلوع الشمس إذا كان ذلك جائزاً في الدين ؟

لكننا مع هذا وقفنا عند حد الاحتمال الجائز ولم نرد عليه ، فإذا بهذا الطموس ينكر الكناية هنا كل الإنكار بدليل لا يخطر إلا على خاطر كليل وذهن عليل ، وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لصفوان بعد أن سمع شكايته امرأته : إذا استيقظت فصل . ١

فيأتيها الطموس مرة أخرى ١ بماذا تريد أن يجيبها النبي وهو يخاطب بذلك الكلام على سبيل الكناية ؟ أتريد من النبي الركن الفطن أن يخاطبه امرأة خجلى كناية وتمريضاً فيجيبها على اللأ بما هربت منه وأبت أن تذكره على سبيل التصريح ؟

أهذا هو البحث الذي لا الحاجة فيه ؟ وهذا هو التدليل الذي لا يحسب من الجدال ؟

ثم أبي هذا الكاتب الطموس البصيرة أن يكون صفوان حصوراً بالمعنى الذي يبرى السيدة عائشة فقال :

« وأما قصة الحصر فليست بالحجة القاطعة . فالذي في سيرة ابن هشام أن عائشة إنما كانت تقول : لقد سئل عن ابن المطلب فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتي النساء ... ثم أضف إلى هذا الاستدلال الخبرى واللغوى أن الذي ذكر عن صفوان لو كان أمراً مقطوعاً به مسلماً ما انبث حديث الإفك » إلى آخر ما قال فلماذا يرد هذا على ذهن الكاتب الطموس ولا يرد على ذهنه أن ابن المطلب لو كان أمراً حصراً باطلاً معروفاً لما شاع عنه أنه حصور ؟ ترى هل كان يمكن أن يقال عنه إنه حصور وله ذرية غير منهمة ؟ ترى هل كان يمكن أن يقال عنه إنه حصور وله امرأة تعلم هي على الأقل أن الاتهام باطل وأن هذا الاتهام الباطل دليل على شيء مخبوء ؟

لماذا خطر له أن أحجاب حديث الإفك لن يشيعوا ما ينقصه البرهان ؟ ولم يخطر له أنهم قد يشيعون ذلك اعتماداً على التباس التهمة التي تحتل كل التباس ؟

لماذا ؟ ... أأعلم الذي لا جدل فيه ، أم لشهوة النفس التي لا علم فيها ولا أمانة للحق والتاريخ ؟

وخلاصة هذه الأمثلة أن المسألة مكشوفة لا يجدى في مداراتها اللفظ بالفاظ البحث والدم والاستقراء ، فإنما يكون الاستقراء علمياً عند هذا الكاتب وأمثاله كلما أفضى إلى تشكيك واسترابة ، ولا يكون الاستقراء علمياً ولا محموداً ولا واجباً على الباحث أن يلم به إلاماً في عرض الطريق كلما أفضى إلى تبرئة وتمظيم

وإذا قلنا إن السيدة عائشة مؤمنة بنبوة محمد عليه السلام